مع الآلوسي

في تفسيره لآية التبليغ

الشيخ

نجم عبد الرضا الدراجي

العتبة الكاظمية المقدسة

قسم الثقافة والإعلام / الشؤون الفكرية والثقافية

الفهرست

المقدمة ..... (٢)

(مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ) .....(٥)

الشرط والجزاء .....(٩)

مسألة الأسرار الإلهية .....(١٠)

الغدير .....(١٣)

الناس ..... (١٧)

من نتائج البحث .....(١٩)

المصادر .....(٢٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين ولا سيما بقية الله في الأرضين عجل الله تعالى فرجه وجعلنا من أشياعه وأتباعه والذابين بين يديه.

تمرّ علينا في الثامن عشر من ذي الحجة في كل عام ذكرى يوم وبيعة وعيد الغدير المبارك وهو مناسبة للفرح والسرور والتهاني والتبريكات بمناسبة إكمال الدين وإتمام النعمة الآلهية ورضا الله سبحانه بالإسلام ديناً للمسلمين، وهوَ يوم يأس الكافرين من الدين وكل وصف من هذه الأوصاف يستحق أن يكون عيداً فكيف إذا اجتمعت كلها في يوم واحد. وعلى شيعة أهل البيت (ع) أن يبتعدوا كل الابتعاد في غمرة هذا الفرح والاحتفال عن كل مظهر من مظاهر معصية المولى سبحانه فلا يمكن إطاعة الله من حيث يعصى بل على الموالين أن يملئوا هذا اليوم طاعة وقد ورد استحباب صيام هذا اليوم وزيارة أمير المؤمنين (ع) تجديداً لتلك البيعة الواجبة في رقاب جميع خلق الله من الأولين والآخرين ومن أهم ما يمكن أن نملأ فيه ذلك اليوم أن يعرف الإنسان الموالي حقيقة ذلك اليوم بالدليل والبرهان؛ إنه يوم تنصيب أمير المؤمنين (ع) من قِبل رسول الله (ص) وبأمر الله سبحانه خليفة للمسلمين وأمر الأمة ببيعته وفرضها عليهم كما فرضَ الصلاة والصوم والزكاة والحج بل أكثر من ذلك كما فرض توحيد الله والمعاد إليه ونبوة نبيه (ص).وقد خلد القرآن الكريم هذه الواقعة في ثلاث آيات كريمة الأولى (وهي آية التبليغ) تحث الرسول الأكرم (ص) حثاً شديداً يشبه التهديد بابلاغ الولاية الكبرى وجلعها في كفة وكل ما عداها من التشريعات الإلهية في كفة أخرى وجعل عدم تبليغها هو عدم تبليغ كل الدين وضمن للرسول الأكرم (ص) العصمة من الناس كأن فيهم من لا يرضى بهذه الولاية وهناك تأمين إلهي بعدم بلوغ هؤلاء أمانيهم وفي الآية الثانية (وهي آية إكمال الدين) يصف المولى

سبحانه يوم الغدير الأغر بأنه اليوم الذي كمل به الدين وتمت النعمة ووصول الكافرين - كل الكافرين- إلى مرحلة اليأس من التأثير في الدين الإسلامي لعدم قدرتهم على ذلك لكن هناك خطر داخلي يهدد الأمة فواجب المسلمين خشية الله سبحانه في تطبيق أوامره وعدم تعديها الذي يسبب رجوع طمع الكافرين في الدين وفي الآية الثالثة (وهي آية سأل سائل) يبين المولى سبحانه جزاء من لا يرضى بهذه الولاية رغم معرفته بأنها أمر من أوامر الله سبحانه وأن العذاب القريب ينتظره. هذا إذا رجعنا إلى العدل الثاني للقرآن الكريم مع القران أما إذا تركت الأمة هذا العدل فستصل إلى تفاسير أخرى بعيدة كل البعد عن هذه التفسير ، وسنقف في بحثنا المتواضع مع الألوسي في تفسيره للآية الاولى وهو (مفسر، محدث، أديب، من المجددين، من أهل بغداد، مولده ووفاته فيها. كان سلفي الاعتقاد، مجتهدا. تقلد الإفتاء ببلده سنة ١٢٤٨ هـ. وعزل، فانقطع للعلم. ثم سافر (سنة ١٢٦٢هـ) إلى الموصل، فالأستانة، ومر بماردين وسيواس، فغاب ٢١ شهرا وأكرمه السلطان عبد المجيد. وعاد إلى بغداد يدون رحلاته ويكمل ما كان قد بدأ به من مصنفاته، فاستمر إلى أن توفى٠٠٠ وفى وفاته اختلاف)[١].وقد افتخر بما كتب فقال (فإني لا أظن أنك تجده في كتاب)[٢].

وهو أنموذج له أشباه كثيرة في عالم التفسير في مدرسة الصحابة.

نسأل الله سبحانه أن يرينا الحق حقاً ويرزقنا أتباعه ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه

وصلى الله على محمد وآل محمد

[١] الأعلام خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت / لبنان، ج ٧ / ١٧٧

[٢] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، الآلوسى سيد محمود ، دارالكتب العلميه بيروت – لبنان ج٣، ص: ٣٦٦

(مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ)

أول ما يطالعنا في تفسيره لآية التبليغ وبعد وقوفه على معنى الرسول وان مهمته التبليغ أنه فسر الأمر النازل على الرسول الأكرم (ص) والمأمور بتبليغه هو ليس أمراً معيناً نزل بعد عدة أمور تم تبليغها بل هو (جميع ما أنزل كائنا ما كان مِنْ رَبِّكَ أي مالك أمرك و مبلغك إلى كمالك اللائق بك)[٣] وهذا يستدعي أن يكون الرسول الأكرم (ص) لم يبدأ بالتبليغ أصلاً وفي الآية أُمر بهذه البداية والحال أن سورة المائدة أن لم تكن هي أخر سورة نزلت فهي من أواخر السور النازلة وباعترافه هو فقد قال: (أخرج غير واحد عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: المائدة آخر سورة نزلت، و أخرج أحمد والترمذي عن ابن عمر أن آخر سورة المائدة و الفتح، و قد تقدم آنفا عن البراء أن آخر سورة نزلت براءة، ولعل كلا ذكر ما عنده، و ليس في ذلك شيء مرفوع إلى النبي صلّى الله عليه وسلّم، نعم أخرج أبو عبيد عن ضمرة بن حبيب وعطية بن قيس قالا: (قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: المائدة من آخر القرآن تنزيلا فأحلوا حلالها و حرموا حرامها) وهو غير واف بالمقصود لمكان (من). واستدل قوم بهذا الخبر على أنه لم ينسخ من هذه السورة شيء، وممن صرح بعدم النسخ عمرو بن شرحبيل والحسن رضي الله تعالى عنهما، كما أخرج ذلك عنهما أبو داود، وأخرج عن الشعبي أنه لم ينسخ منها إلا قوله تعالى: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحِلُّوا شَعائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلائِدَ)[٤]، وأخرج ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال: نسخ من هذه السورة آيتان آية القلائد وقوله سبحانه: (فَإِنْ جاؤُكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ)[٥] وادعى بعضهم أن فيها تسع آيات

---

[٣] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، الآلوسى سيد محمود ، دارالكتب العلميه بيروت – لبنان ج٣، ص: ٣٥٦

[٤] المائدة:٢

[٥] المائدة:٤٢

منسوخات)[٦]،وحاول ان يجمع بين الأمرين فأضطر للقول أن عدم أداء البعض يعني عدم أداء الكل لأن ليس هناك بعض هو أولى بالتبليغ من البعض الأخر كما أن عدم الإيمان بالبعض يكون نتيجته عدم الإيمان بالكل ومثّل لذلك بأركان الصلاة وقد ناقش نفي الأولوية بأنها ثابتة لأن بعض الواجب قطعي والأخر ظني ومنه الجلي ومنه الخفي ونقل عن غيره جواباً على ذلك بأن أصل الوجوب ثابت في الجميع أولاً والأولوية راجعة للمبلغ لكنه رجع وذكر بعض الأحاديث تعضد رأيه بأن معنى ما أنزل إليك هو جميع ما أنزل إليك فقد نقل عن (إسحاق بن راهويه في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، وأخرجه أبو الشيخ و ابن حبان في تفسيره من مرسل الحسن أن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: (بعثني الله تعالى بالرسالة فضقت بها ذرعا، فأوحى الله تعالى إن لم تبلغ رسالاتي عذبتك وضمن لي العصمة فقويت). وقيل: إن المراد إن تركت تبليغ ما أنزل إليك حكم عليك بأنك لم تبلغ أصلا، وقيل - وليته ما قيل - المراد بما أنزل القرآن، وبما في الجواب بقية المعجزات، وقيل: غير ذلك، واستدل بالآية على أنه صلّى الله عليه وسلّم لم يكتم شيئا من الوحي، ونسب إلى الشيعة أنهم يزعمون أنه عليه الصلاة و السلام كتم البعض تقية)[٧]، والظاهر من هذا الحديث المرسل - وهو مما لا يحتج به - أن الآية نزلت في أول البعثة وهذا خلاف ما قاله أن سورة المائدة من أواخر ما نزل من القرآن في بداية تفسيره للسورة المباركة أما الـ (قيل) فقول لا يُعرف صاحبه وسواء ليته قال أو لم يقل كيف يكون منبعاً لتفسير القرآن أما عدم كتم النبي (ص) لشيء من الوحي فهو مسلّم لكنه لا يفسر ما هو الشيء المنزل على الرسول الأكرم (ص) وأما ما نسبه إلى الشيعة بأنهم يزعمون أن النبي (ص) كتم بعض ما أنزل إليه تقية فليته دلنا

---

[٦] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، الآلوسى سيد محمود ، دارالكتب العلميه بيروت – لبنان ج٣، ص:٢٢٢

[٧] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، الآلوسى سيد محمود ، دارالكتب العلميه بيروت – لبنان ج٣، ص: ٣٥٥

على مصدر ذلك لكنه لم يفعل وفي مكان أخر من بحثه عن الآية يدخل عمي النبي (ص) أبو طالب والعباس مما يدل على أن الآية نزلت في مكة وفي بداية الدعوى الإسلامية وهو خلاف ما ذكره في بداية تفسيره لسورة المائدة فقد ذكر (أخرج ابن مردويه والضياء في مختاره عن ابن عباس قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي آية أنزلت من السماء أشد عليك؟ فقال: كنت بمنى أيام موسم و اجتمع مشركو العرب وأفناء الناس في الموسم فأنزل عليّ جبريل عليه السلام فقال: يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ الآية، قال: فقمت عند العقبة فناديت: يا أيها الناس من ينصرني على أن أبلغ رسالات ربي ولكم الجنة، أيها الناس قولوا: لا إله إلا الله و أنا رسول الله إليكم تفلحوا وتنجحوا ولكم الجنة، قال عليه الصلاة والسلام: فما بقي رجل ولا امرأة ولا أمة ولا صبي إلا يرمون علي بالتراب والحجارة، ويقولون: كذاب صابىء، فعرض علي عارض فقال: يا محمد إن كنت رسول الله فقد آن لك أن تدعو عليهم كما دعا نوح على قومه بالهلاك، فقال النبي صلّى الله عليه وسلّم: اللهم أهد قومي فإنهم لا يعلمون وانصرني عليهم أن يجيبوني إلى طاعتك، فجاء العباس عمه فأنقذه منهم وطردهم عنه.قال الأعمش: فبذلك تفتخر بنو العباس، ويقولون: فيهم نزلت (إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ)[٨] هوى النبي صلّى الله عليه وسلّم أبا طالب، وشاء الله تعالى عباس بن عبد المطلب وأصرح من هذا ما أخرجه أبو الشيخ وأبو نعيم في الدلائل وابن مردويه وابن عساكر عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: (كان النبي صلّى الله عليه وسلّم يحرس وكان يرسل معه عمه أبو طالب كل يوم رجالا من بني هاشم يحرسونه حتى نزلت(وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ)فأراد عمه أن يرسل معه من يحرسه، فقال: يا عم إن الله عز و جل قد عصمني) فإن أبا طالب مات قبل الهجرة، وحجة

[٨] القصص: ٥٦

الـوداع بعـدها بكثيـر، والظـاهر اتصـال الآيـة)[٩]، كـل هـذا الاخـتلاف اضـطره إلـى أدعاء نزول الآية أكثر من مرة ولم يكلف نفسه عناء البرهنة على ذلك

الشرط والجزاء

علـى أثـر ذلـك وقـع فـي أشـكال أخـر وهـو اتحـاد الشـرط والجـزاء فـي الآيـة المباركـة فيكـون معناهـا (أن لـم تبلـغ رسـالته فلـم تبلـغ رسـالته) وقـد أعتـذر لـذلك ب(جعلـه نظيـر: أنـا أبـو الـنجم و شـعري شـعري. حيـث جعـل فيـه الخبـر عـين المبتـدأ بـلا مزيـد فـي اللفـظ، وأراد- وشـعري شـعري- المشـهور بلاغتـه والمسـتفيض فصـاحته، ولكنـه أخبـر بالسـكوت عـن هـذه الصـفات التـي بهـا تحصـل الفائـدة أنهـا مـن لـوازم شـعره فـي إفهـام النـاس السـامعين لاشـتهاره بهـا، وأنـه غنـي عـن ذكرهـا لشـهرتها وذياعهـا)[١٠]، وقـد رد السـيد الطباطبـائي بـأن هـذا التوجيـه (فاسـد لأن هـذه الصـناعة الكلاميـة إنمـا تصـح فـي مـوارد العـام والخـاص والمطلـق والمقيـد ونظـائر ذلـك فيفـاد بهـذا السـياق اتحادهمـا كقـول أبـي الـنجم: شـعري شـعري أي لا ينبغـي أن يتـوهم علـى متـوهم أن قريحتـي كلـت أو أن الحـوادث أعيتنـي أن أقـول مـن الشـعر مـا كنـت أقولـه فشـعري الـذي أقـول اليـوم هـو شـعري الـذي كنـت أقولـه بـالأمس.و أمـا قولـه تعـالى: (وَإِنْ لَـمْ تَفْعَـلْ فَمـا بَلَّغْتَ رِسـالَتَهُ) فلـيس يجـري فيـه مثـل هـذه العنايـة فـإن الرسـالة التـي هـي مجمـوع الـدين أو أصـله علـى تقـدير نـزول الآيـة فـي أول البعثـة أمـر واحـد غيـر مختلـف ولا متغيـر حتـى يصـح أن يقـال: إن لـم تبلـغ هـذه الرسـالة فمـا بلغـت تلـك الرسـالة أو لـم تبلـغ أصـل الرسـالة فـإن المفـروض أنـه أصـل الرسـالة التـي هـي مجمـوع المعارف الدينية)[١١]

---

[٩] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، الآلوسى سيد محمود ، دارالكتب العلميه بيروت – لبنان ج٣، ص: ٣٦٥

[١٠] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، الآلوسى سيد محمود ، دارالكتب العلميه بيروت – لبنان ج٣، ص: ٣٥٦

[١١] الميزان في تفسير القرآن، الطباطبايى سيد محمد حسين،جماعة المدرسين،قم ج٦، ص: ٤٦

مسألة الأسرار الإلهية

خاض في موضوع الأسرار الالهية وأقوال الصوفية وأهل الكشف وإن كان التحقيق عنده أن الأسرار الإلهية والأحكام الشرعية موجودة في كتاب الله وقد نقل عن المرسي (جمع القرآن علوم الأولين والآخرين بحيث لم يحط بها علما حقيقة إلا المتكلم به ثم رسول الله خلا ما استأثر به سبحانه ثم ورث عنه معظم ذلك سادات الصحابة وأعلامهم مثل الخلفاء الأربعة ومثل ابن عباس وابن مسعود حتى قال الأول: لو ضاع لي عقال بعير لوجدته في كتاب الله تعالى ثم ورث عنهم التابعون لهم بإحسان ثم تقاصرت الهمم وفترت العزائم وتضاءل أهل العلم وضعفوا عن حمل ما حمله الصحابة والتابعون من علومه وسائر فنونه فنوعوا علومه وقامت كل طائفة بفن من فنونه)[١٢]، ولا ندري كيف دخل الثلاثة بمعرفة كل الأسرار الإلهية مع عدم علمهم بالكلالة أو ميراث الجدة أو الأب وهومتاع الانعام أو ما رواه الألوسي نفسه أن أحدهم نهى (أن يزاد في الصداق على أربعمائة درهم فاعترضته امرأة من قريش فقالت: أما سمعت ما أنزل الله تعالى (وَآتَيْتُمْ إِحْداهُنَّ قِنْطاراً) فقال: اللهم غفرا كل الناس أفقه من عمر ثم رجع فركب المنبر، فقال: إني كنت نهيتكم أن تزيدوا النساء في صدقاتهن على أربعمائة درهم فمن شاء أن يعطي من ماله ما أحب، وطعن الشيعة بهذا الخبر على عمر رضي الله تعالى عنه لجهله بهذه المسألة وإلزام امرأة له وقالوا: إن الجهل منافٍ للإمامة، وأجيب بأن الآية ليست نصا في جواز إيتاء القنطار فإنها على حد قولك: إن جاءك زيد وقد قتل أخاك فاعف عنه، وهو لا يدل على جواز قتل الأخ)[١٣]، ثم جعل ذلك من الفضائل ولا يهمنا أن تكون كذلك أو ليس كذلك لكنه على كل حال يوصف بعدم معرفته لظاهر القرآن فضلا عن الأسرار

---

[١٢] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، الآلوسى سيد محمود ، دارالكتب العلميه بيروت – لبنان ج٧، ص: ٤٥٤

[١٣] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، الآلوسى سيد محمود ، دارالكتب العلميه بيروت – لبنان ج٢، ص: ٤٥٤

الإلهية نعم لأمير المؤمنين (ع) شأن أخر فقد سأله أبو جحيفة (هل عندكم كتاب خصكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: لا إلا كتاب الله تعالى أو فهم أعطيه رجل مسلم أو ما في هذه الصحيفة - و كانت متعلقة بقبضة سيفه - قال: قلت: وما في هذه الصحيفة؟ قال: العقل وفكاك الأسير ولا يقتل مسلم بكافر)[١٤]،وهذا الحديث عند مفسر من مدرسة اهل البيت (ع) أكبر بكثير مما ذُكر فقد(روي عن علي ع: أنه قيل له. هل عندكم شيء من الوحي؟ قال: لا و الذي فلق الحبة و برأ النسمة- إلا أن يعطي الله عبدا فهما في كتابه.أقول: و هو من غرر الأحاديث، و أقل ما يدل عليه: أن ما نقل من أعاجيب المعارف الصادرة عن مقامه العلمي الذي يدهش العقول مأخوذ من القرآن الكريم.)[١٥] وعلى كل حال فالالوسي لم يبين لقاريء تفسيره هل هذه الأسرار هي المرادة في (ما أنزل إليك) خاصة بعد رده قول (الطيبي ما ورد عن أبي هريرة (حفظت من رسول الله (ص) وعاءين من العلم فأما أحدهما فبثثته وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم)[١٦]، على الأسرار الإلهية التي لا يتحملها الناس بحيث يقتلون قائلها، فقد رفض الألوسي هذا التوجيه (وحمل وعاء أبي هريرة رضي الله تعالى عنه الذي لم يبثه على علم الأسرار غير متعين لجواز أن يكون المراد منه أخبار الفتن واشراط الساعة وما أخبر به الرسول (ص) من فساد الدين على أيدي أغيلمةٍ من سفهاء قريش وقد كان أبو هريرة رضي الله تعالى عنه يقول لو شئت أن أسميهم بأسمائهم لفعلت، أو المراد الأحاديث التي فيها تعيين أسماء أمراء الجور وأحوالهم وذمهم، وقد كان رضي الله تعالى عنه يكني عن بعض ذلك ولا يصرح خوفاً على نفسه بقوله أعوذ بالله سبحانه من رأس ستين وإمارة الصبيان يشير إلى خلافة يزيد الطريد لعنه الله تعالى على رغم أنف أوليائه

---

[١٤] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، الآلوسى سيد محمود ، دارالكتب العلميه بيروت – لبنان ج٣، ص: ٣٥٨

[١٥] الميزان في تفسير القرآن، الطباطبايى سيد محمد حسين،جماعة المدرسين،قم ج٣، ص: ٧٢

[١٦] صحيح البخاري ٦٥/١.

لأنها كانت سنة ستين من الهجرة واستجاب الله تعالى دعاء أبي هريرة (رض) فمات قبلها بسنة)[١٧] وهذه من حسنات الألوسي وكم فرق بينها وبين ما يراه ابن تيمية حيث رمى بالجهل من قال إن أهل البيت هم الأئمة الأثنى عشر المبشر بهم في التوراة، ويعدد أثني عشر غيرهم بينهم معاوية ويزيد.

الغدير

من حسنات الالوسي الاخرى أنه يذكر حديث غدير خم في تفسير آية التبليغ واية أكمال الدين وهو من ضمن أقل القليل الذين ذكروا ذلك، لكنهم كلهم يقولون إنها نزلت في فضل علي لا في خلافته وكم فرق بين الاثنين فكل ما في يوم الغدير – حسب رأيه - ان بعض الصحابة ممن كانوا مع علي (ع) باليمن أغضبوه وشكوه للنبي (ص) فاراد ان يبين لهم مكانة علي (ع) وان محبته ونصرته (ع) هي محبة ونصرة للنبي (ص) ويستبعد أن تكون الآية كما ترى الشيعة الأمامية (لأن التخوف الذي تزعمه الشيعة منه (ص) - وحاشاه في تبليغ أمر الخلافة - إنما هو من الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، حيث أن فيهم - معاذ الله تعالى - من يطمع فيها لنفسه ، ومتى رأى حرمانه منها لم يبعد منه قصد الإضرار برسول الله (ص) ، والتزام القول - والعياذ بالله عز وجل - بكفر من عرضوا بنسبة الطمع في الخلافة إليه مما يلزمه محاذير كلية أهونها تفسيق الأمير كرم الله تعالى وجهه وهو هو، أو نسبة الجبن إليه - وهو أسد الله تعالى الغالب - أو الحكم عليه بالتقية - وهو الذي لا تأخذه في الله تعالى لومة لائم ولا يخشى إلا الله سبحانه - أو نسبة فعل الرسول الله صلى الله عليه وسلم ، بل الأمر الإلهي إلى العبث)[١٨]، فنرى هذا النص من الآلوسي يورد أمور يعتبرها أدلة على كون الآية في فضله لا في خلافته، وأول تلك الأمور استبعاده أن يتخوف الرسول(ص) من الصحابة،

[١٧] روح المعاني الآلوسى سيد محمود ، دارالكتب العلميه بيروت – لبنان ٦٥/٥.
[١٨] روح المعاني الآلوسى سيد محمود ، دارالكتب العلميه بيروت – لبنان ٧٣/٣.

ونحن نقول من الاستحالة أن يكون تخوف الرسول (ص) من أصحابه المرضيين عند الله سبحانه، بل نقول بقول القرآن حيث يذكر أن هناك منافقين بين الصحابة وبعضهم غير معروف النفاق عند الناس، بل معروفين بطول صحبتهم وجهادهم بين يدي الرسول الأكرم (ص) وقتلهم يؤدي إلى تداعيات خطيرة، وهذا ما نقله الألوسي نفسه في تفسيره (اخرج البيهقي من الدلائل عن حذيفة بن اليمان قال: كنت آخذا بخطام ناقة رسول الله (ص) أقود به وعمار يسوق وأنا أسوق وعمار يقود حتى إذا كنا بالعقبة فإذا أنا بأثنى عشر راكباً قد اعترضوا فيها فأنبهت رسول الله (ص) فصرخ بهم فولوا مدبرين فقال لنا رسول الله (ص): هل عرفتم القوم قلنا: لا يا رسول الله كانوا متلثمين ولكن قد عرفنا الركاب قال: هؤلاء المنافقون إلى يوم القيامة هل تدرون ما أرادوا؟ قلنا: لا، قال: أرادوا أن يزلوا رسول الله (ص) في العقبة فيلقوه منها قلنا: يا رسول الله أولا نبعث إلى عشائرهم حتى يبعث كل قوم برأس صاحبهم قال أكره أن يتحدث العرب عنا أن محمداً عليه الصلاة والسلام قاتل بقوم حتى إذا أظهره الله تعالى بهم أقبل عليهم يقتلهم...)[19]، والملاحظ إن هؤلاء الأثنى عشر هم من المقربين للرسول الأكرم (ص) بدلالة معرفة حذيفة وعمار ركابهم، فأين ذهب هؤلاء وغيرهم من أمثالهم بعد وفاة الرسول الأكرم (ص)، وقد عاش حذيفة وقد اختص بأسرار النفاق تلك الفترة فكان يصفها (إن المنافقين اليوم شر منهم على عهد رسول الله (ص) كانوا يسرون واليوم يجهرون)[20]، أما نسبة فعل الله وفعل رسوله إلى العبث فلا نفهم له وجهاً فالله سبحانه يحكم ورسوله (ص) يبلغ وعلى المكلفين إن يطبقوا ما أمروا به وينتهوا عما نهوا عنه اختياراً لا جبراً. هذه سنة الله سبحانه فأين العبث إذا حكم الله وبلغ رسوله ولم يطبق بعض الناس ، والناس تتحمل تبعات تطبيق حكم الله وتتحمل تبعات عدم التطبيق فأين

[19] روح المعاني الآلوسى سيد محمود ، دارالكتب العلميه بيروت – لبنان ٢٩٣/٧.
[20] صحيح البخاري الامام أبي عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم ابن المغيرة بن بردزبة البخاري الجعفي ، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م ،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ٦٠٤/٦.

العبث؟ أما الأمور الثلاثة التي يدور عليها افتراض حال أمير المؤمنين (ص) بين الفسق والجبن والتقية، فأمير المؤمنين (ع) أجل من أن ندخله في مناقشة لدفع الأمرين الأولين، أما التقية، فإن كانت هي وظيفة الإمام (ع) وتكليفه الشرعي فما العيب بذلك؟ وما المحذور في ذلك؟ وبالخصوص إذا علمنا أن الرسول الأكرم (ص) شبّه منزلة أمير المؤمنين (ع) منه بمنزلة هارون من موسى، وقد أخلف موسى هارون (ع)على قومه لكن قومه لم يتبعوا الخليفة الشرعي بل اتبعوا غيره. وقد اعتذر هارون (ص) عن موقفه (وهو موقف يشبه موقف أمير المؤمنين (ع))مما حكاه القرآن عنه وقد فسره الآلوسي (وحاصل اعتذاره (ع) أني رأيت الإصلاح في حفظ الدهماء والمداراة معهم وزجرهم على وجه لا يختل به أمر انتظامهم واجتماعهم ولا يكون سببا للومك إياي إلى أن ترجع إليهم فتكون إن المتدارك للأمر حسبما تراه لا سيما والقوم قد استضعفوني وقربوا من أن يقتلون كما أفصح (ع) بذلك في آية أخرى)[٢١]، وقد قال في تفسير هذه الآية الأخرى (إن القوم الذين فعلوا ما فعلوا {استضعفوني} أي استذلوني وقهروني ولم يبالوا بي لقلة أنصاري {وكادوا يقتلوني} وقاربوا قتلي حين نهيتهم عن ذلك والمراد أنني بذلت وسعي في كفهم ولم آلُ جهداً في منعهم)[٢٢]، ولا يسعنا التصديق أن الآلوسي بهذه الكلمات في مقام ذم هارون (ع) أو توصيفه بأحد تلك الصفتين فليكن هارون هذه الأمة مثل هارون تلك الأمة وقد شبه هذا الهارون بذلك الهارون من لا ينطق عن الهوى، والأقرب أن تكون مثل هذه الكلمات هي في مقام ذم من ترك هارون (ع) واتبع غيره ولم يكتف بذلك بل أراد قتله وخذلانه وقهره، ولا نعتقد أن الألوسي يقصد ذم أمير المؤمنين (ع) إنما قال ما قال لمجرد إلزام خصمه بذلك وهو القائل: (وذكروا من علامات النفاق بغض علي كرم الله تعالى وجهه، فقد أخرج ابن مردويه عن ابن مسعود قال:

---

[٢١] روح المعاني الآلوسى سيد محمود ، دارالكتب العلميه بيروت – لبنان ٢٥٢/١٢.
[٢٢] روح المعاني الآلوسى سيد محمود ، دارالكتب العلميه بيروت – لبنان ٣٧٢/٦.

ما كنا نعرف المنافقين على عهد رسول الله (ص) إلا ببغضهم علي بن أبي طالب، وأخرج هو وابن عساكر عن أبي سعيد الخدري ما يؤيده ، وعندي أن بغضه رضي الله تعالى عنه من أقوى علامات النفاق)[٢٣]، لكنا على كل حال لا نوافقه أن الآية نزلت في فضل علي لا في خلافته ونقول له ماقاله السيد عبد الحسين شرف الدين مخاطباً شيخ الأزهر (وَلِمَ خصه بهذه الدعوات التي لا يليق لها إلا أئمة الحق، وخلفاء الصدق، ولماذا أشهدهم من قبل، فقال: ألست أولى بكم من أنفسكم؟ فقالوا: بلى فقال: من كنت مولاه، فعلي مولاه، أو من كنت وليه ، فعلي وليه، ولماذا قرن العترة بالكتاب؟ وجعلها قدوة لأولي الألباب إلى يوم الحساب؟ وفيم هذا الاهتمام العظيم من هذا النبي الحكيم؟ وما المهمة التي احتاجت إلى هذه المقدمات كلها؟ وما الغاية التي توخاها في هذا الموقف المشهود؟ وما الشيء الذي أمره الله تعالى بتبليغه إذ قال عز من قائل (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ) وأي مهمة استوجبت من الله هذا التأكيد ؟ واقتضت الحض على تبليغها بما يشبه التهديد ؟ وأي أمر يخشى النبي الفتنة بتبليغه؟ ويحتاج إلى عصمة الله من أذى المنافقين ببيانه؟)[٢٤]،

الناس

نوافق الآلوسي تمام الموافقة على أن بغض عليّ (ع) من أقوى علامات النفاق، فأينما يوجد هذا البغض فلا يفارقه النفاق، وهذه القاعدة غير قابلة للاستثناء سواء أكان المبغض معاصراً لرسول الله (ص) أم لم يكن كذلك. وهؤلاء المنافقون قد وصفهم القرآن بأنهم (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ

[٢٣] روح المعاني الآلوسى سيد محمود ، دارالكتب العلميه بيروت – لبنان ١٦٢/١٩. .

اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا)[٢٥]،والولاية مصداق لما انزل الله فمن الطبيعي ان يصد المنافقون عنها صدوداً ورغم ذلك فقد أبعد الألوسي هذا الخطر من حساباته وأصر أن العصمة الإلهية للرسول الأكرم (ص) هي من القتل والكافرون هم الخطر الخارجي الذي قد يخاف منه على حياة الرسول (ص) رغم أن الآيات نزلت في أواخر عهد النبي (ص) وهو زمن انحسار قوة الكفر وإطفاء نائرتهم وكسر شوكتهم وكل ما يملك من دليل هو السياق من دون أن يكلف نفسه بإثبات أن الآيات نزلت جملة واحدة (إيراد الآية في تضاعيف الآية الواردة في أهل الكتاب لما أن الكل قوارع يسوء الكفار سماعها و يشق على الرسول صلّى الله عليه و سلم مشافهتهم بها، و خصوصا ما يتلوها من النص الناعي عليهم كمال ضلالهم، و لذلك أعيد الأمر فقال سبحانه: قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ، والمراد بهم اليهود والنصارى- كما قال بعض المفسرين- وقال آخرون: المراد بهم اليهود)[٢٦]وقد نسى المنافقين الذي وصفهم القران (هُمُ الْعَدُو)[٢٧]وقد فسر ذلك ب(هُمُ الْعَدُوُّ استئناف أي هم الكاملون في العداوة و الراسخون فيها فإن أعدى الأعادي العدو المداجي الذي يكاشرك و تحت ضلوعه الداء الدوي ككثير من أبناء الزمان فَاحْذَرْهُمْ لكونهم أعدى الأعادي و لا تغترن بظاهرهم)[٢٨]وقد مر بنا أن اثبي عشر منهم حاولوا قتل النبي(ص)في حياته فلاندري هل انتهى دورهم عند فشل تلك المحاولة ولم يدخل هذا الحزب في مؤمرات أخرى؟سؤال لانجد له حلاً عند الالوسي

---

[٢٥] المراجعات الإمام عبد الحسين شرف الدين الموسوي ، تحقيق وتعليق حسين الراضي .ط٢ ، بيروت ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ م ١٩٩.

[٢٦] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، الآلوسى سيد محمود ، دارالكتب العلميه بيروت – لبنان ج٣، ص: ٣٦٦

[٢٧] سورة المنافقون آية:٤

[٢٨] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، الآلوسى سيد محمود ، دارالكتب العلميه بيروت – لبنان ج١٤، ص: ٣٠٧

من نتائج البحث

يمكن ملاحظة عدة أمور في تفسير الالوسي ولا تخلو بقية التفاسير منها

١- التغاضي عما ورد عن طريق أهل البيت (ع). ورمي الشيعة بالكذب عليهم ف(الشيعة بيت الكذب)[٢٩] بل غض الطرف عما ورد عنهم (ع) الموجود في بعض مصادر جمهور المسلمين.

٢- التغاضي عما ورد في كتب علماء مدرسة الصحابة من نزول الآية في غدير خم. وحسب تتبع الشيخ الاميني هناك ثلاثين عالماً من مدرسة الصحابة ذكر ذلك.

٣- القلة التي اعترفت بنزول الآية في غدير خم قالوا أنها نزلت في فضل علي لا في خلافته وأغرقوها بالاحتمالات الأخرى. وكمثال على ذلك ما ذكره الرازي

(الأول: أنها نزلت في قصة الرجم و القصاص ...

الثاني: نزلت في عيب اليهود و استهزائهم بالدين ...

الثالث: لما نزلت آية التخيير، ...

الرابع: نزلت في أمر زيد و زينب بنت جحش...

الخامس: نزلت في الجهاد...

السادس: لما نزل قوله تعالى: وَ لا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ ...

السابع: نزلت في حقوق المسلمين، ...

الثامن:روي أنه صلى الله عليه و سلم نزل تحت شجرة في بعض أسفاره و علق سيفه عليها، فأتاه أعرابي و هو نائم فأخذ سيفه

[٢٩] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، الآلوسى سيد محمود ، دارالكتب العلميه بيروت – لبنان ج٨، ص: ٤٥٩

واخترطه و قال: يا محمد من يمنعك مني؟ فقال «اللّه» فرعدت يد الأعرابي و سقط السيف من يده و ضرب برأسه الشجرة حتى انتثر دماغه...

التاسع: كان يهاب قريشا و اليهود و النصارى، فأزال اللّه عن قلبه تلك الهيبة بهذه الآية.

العاشر: نزلت الآية في فضل علي بن أبي طالب عليه السلام، ولما نزلت هذه الآية أخذ بيده و قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه اللّهم وال من والاه و عاد من عاداه» فلقيه عمر/ رضي اللّه عنه فقال:هنيئا لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي و مولى كل مؤمن و مؤمنة، و هو قول ابن عباس و البراء بن عازب و محمد بن علي)٣٠.

٤- الاعتماد على السياق بدون إثبات أن هذا السياق ثابت نزولاً مع أن الروايات تدل على نزولها وحدها.

٥- الاعتماد على من ليس قوله حجة بل الاعتماد على (قيل ويقال) وهي أقوال لا يُعرف صاحبها. وكمثال على ذلك تفسيرالالوسي لأولي الأمر الذي فرض الله طاعتهم وقرن طاعتهم بطاعته فقال (اختلف في المراد بهم فقيل: ..... وقيل: ....، وروي ذلك عن أبي هريرة و ميمون بن مهران، وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن السدي، وأخرجه ابن عساكر عن أبي صالح عن ابن عباس رضي اللّه تعالى عنهما وقيل: ..... وروى ذلك غير واحد عن ابن عباس وجابر بن عبد اللّه ومجاهد والحسن وعطاء وجماعة)٣١

٦- عدم الالتفات إلى زمان نزول الآية وأنها باعترافه نزلت آخر عهد الرسول (ص). فيكثروا من الروايات ذات الأجواء المكية

٧- في كثير من الأحيان تسليط الضوء على جزء الآية وعدم الاهتمام بربط هذا الجزء بالجزء الثاني من نفس الآية

---

[٣٠] - مفاتيح الغيب، فخرالدين الرازى ابوعبدالله محمد بن عمر،الناشر: دار احياء التراث العربى ، بيرو ت -لبنان، ج١٢، ص:٤٠١

[٣١] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، الآلوسى سيد محمود ، دارالكتب العلميه بيروت –لبنان ، ج٣/ ٦٤

٨- مخالفة ما يذهب إليه المفسر للواقع الخارجي الذي عاشته الأمة

٩- التنافي والتضاد بين آراء مفسري جمهور المسلمين في تفسير هذه الآية بل اضطراب المفسر الواحد وذلك لعدم ركونه إلى ركن وثيق.

١٠- حيرته باتحاد فعل الشرط وجوابه ولجوئه لبيت من الشعر

المصادر

القران الكريم

١- الأعلام خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت / لبنان.

٢- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، الآلوسى سيد محمود ، دار الكتب العلميه بيروت – لبنان

٣- الميزان في تفسير القرآن،: الطباطبايى سيد محمد حسين،جماعة المدرسين،قم

٤- صحيح البخاري ، الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ابن المغيرة بن بردزبة البخاري الجعفي ، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م ،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع

٥- المراجعات ، الإمام عبد الحسين شرف الدين الموسوي ، تحقيق وتعليق حسين الراضي .ط٢ ، بيروت ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ م

٦- مفاتيح الغيب، فخرالدين الرازي أبو عبدالله محمد بن عمر، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيرو ت –لبنان.